مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاخبار

التاريخ : ١٩٨٣/١٠/٨

ان ما حدث فى أكتوبر ١٩٧٣ . . يختلف تماما عما حدث فى يونيو ١٩٦٧ .
اختلفت الصوره وانقلبت الآية
ولخص صحفى إسرائيل صورة ما حدث . . فى سطور قليله قال فيها : لقد تعلم العرب منا كيف يقاتلون وتعلمنا نحن من العرب كيف نكذب !

شهادة صحفى . .

لا يحب السادات . . !

هذه السطور ، وهذه الفقرات .. ليست من عندى انها سطور وفقرات كتبها صحفى بريطانى ، هو دافيد هيرست مراسل صحيفة « جارديان » البريطانية . وقد عرف هيرست بعدائه الشديد للرئيس الراحل انور السادات كانت كتاباته ، وتعليقاته تعبر غالبا ـ وربما دائما ـ عن وجهة نظر خصوم السادات ، أكثر مما تعبر عن الراى الاخر المؤيد للسادات .

وضاق السادات بالصحفى البريطانى ، وبما يكتبه . امر بطرده وترحيله من مصر .. ورحل الصحفى - والف كتابا اختار له عنوان (سادات) .. وبالطبع ،لم يكن الكتاب فى صالح الرجل الذى توسط اسمه غلاف الكتاب !

وتضمن الكتاب - فيما تضمن - سطورا عديدة - وفقرات متعددة عن حرب ١٩٧٣ ..

وتعالوا معا .. نستعرض ماكتبه صحفى بريطانى ، لم يكن فى يوم من الايام صديقا للسادات ، او متعاطفا معه ..

تقول السطور - وتقول الفقرات .. بدا مجد انور السادات يوم السبت ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ..

بالنسبة للمصريين .. كان هذا اليوم مجرد يوم مشمس دافىء ،من ايام شهر رمضان .. شهر الصوم ..

وبالنسبة لليهود - كان يوم ٦ اكتوبر هو يوم عيد الغفران .. اقدس ايام السنة بالنسبة لهم .

فى الثانية والربع ظهرا . قطع رادبو القاهرة ارساله واذاع بيانا عسكريا اعلن فيه ان قوات العدو الاسرائيلى هاجمت فى الواحدة والنصف مواقع القوات المصرية . فى الزعفرانة والسخنة ، مستخدما فى هجومه الطائرات ، والقوارب وان القوات المصرية تتصدى لهذا الهجوم ..

استمعت الى البيان العسكرى القصير - قلة من سكان القاهرة . كانت الاغلبية اما فى مكاتبها ، وفى مقار اعمالها - واما فى الطريق تتزاحم وسط زحام القاهرة القاتل من اجل الوصول الى بيوتها ..

رغم ذلك .. انتشر الخبر بسرعة

وبدأت البلاغات العسكرية تتوالى واحدا بعد الاخر ..

قال أحدها أن قواتنا الجويه مارست واجباتها بنجاح ، واصابت مواقع العدو فى سيناء .. وعادت جميع الطائرات سالمة ما عدا واحدة ..

وقال بلاغ اخر .. ان قواتنا اسقطت للعدو احدى عشرة طائرة .. واننا خسرنا عشر طائرات .

وبدأت الناس تتهامس بقلق : هل هى الحرب ؟ .. هل هى الجولة الرابعة بين مصر واسرائيل ؟ .

كان هناك شعور بعدم الارتياح فى القاهرة - ان التاريخ ، على ما يبدو ، يعيد نفسه من جديد . فى كل مرة تبدأ اسرائيل بالعدوان والهجوم ..

وبدأت الناس فى مصر تستعيد الذكريات .. خاصة ما حدث فى عام ١٩٦٧ عندما اذاع راديو القاهرة ان مصر اسقطت ١١٥ طائرة للعدو. وقتها التهبت المشاعر بالحماس ، وتدفقت الناس فى الشوارع كالمجانين صارخة : الى اللقاء فى تل ابيب ! ..

هذا ما حدث وقتها ..

بسبب ما حدث فى ٥ يونيو ... تحفظت الجماهير فى ٦ اكتوبر ، وهى تستمع الى البلاغات ، والبيانات العسكرية الصادرة من قيادتها ..

واذيع البيان رقم ٥ .. قالت كلماته أن قواتنا نجحت فى عبور بعض مواقع القناة ، ونجحت فى احتلال بعض مواقع العدو . وان علم مصر يرفرف فى هذه اللحظات فوق الارض المصرية المحررة شرق القناة ..

ومع صدور هذا البيان .. ساد الصمت بين المصريين ..

هل هذا ممكن ؟ .. هل هذا صحيح ؟ ..

من المؤكد أن القيادة فى مصر تعلمت من درس ١٩٦٧ .. ومن المؤكد انها لن تخدع الشعب المصرى مرة اخرى ، كما خدعته قيادته فى

١٩٦٧ . بسلسلة من الاكاذيب القاسية ..

اذن .. ما الذى يجرى ..

واذيع البيان رقم ٧ .. ولم تصدق الناس آذانها، وهى تستمع الى كلمات البيان .. التى اعلنت ان القوات المصرية استطاعت عبور القناة على طول الجبهة ، وتمكنت من احتلال مواقع العدو على الضفة الشرقية للقناة !

●●

.. طوال ست سنوات كاملة ، ظل المصريون يحلمون بهذا اليوم .

.. ست سنوات كاملة من اللاحرب .. واللا سلم ، ضحى خلالها المصريون بكل ما يملكون من اجل هذه المعركة . التى بدا للكثيرين انها لن تجىء على الاطلاق .

لقد وجهت مصر الدولة الفقيرة كل مواردها من اجل اعادة بناء قواتها المسلحة التى تمزقت فى ١٩٦٧ . ورصدت كل اموالها لشراء الاسلحة . وبدلا من العبور لجأت الى حرب الاستنزاف .وردت اسرائيل على هذه الحرب بتدمير مدن القناة . وتحويل المنطقة الى منطقة اشباح ..

مات المئات من المدنيين ، وتم تهجير اكثر من مليون ساكن من سكان القناة ، الى الدلتا ، والى مناطق اخرى ..

ومع استمرار حرب الاستنزاف، لم تكتف اسرائيل بتدمير مدن القناة ـ انما ضربت المدن المصرية فى العمق مستخدمة فى ذلك طائرات الفانتوم الامريكية .

وفى لحظة يأس .. توسل الرئيس عبد الناصر الى السوفييت لكى يتولوا الدفاع الجوى من مصر .. وجاء السوفيت ، وتولوا حماية سماء مصر ، من غارات الاسرائيليين

وفى يوليو ١٩٧٠ .. وافق الرئيس عبد الناصر على مبادرة روجرز السلمية ، وتوقفت حرب الاستنزاف .. لتبدأ حالة لا حرب ولا سلم ..

وتوفى عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠ .. وتولى السادات الحكم من بعده .. واستمرت حالة اللا حرب ، واللا سلم .

وفى عام ١٩٧٢ .. طرد السادات ٢٠ الف خبير سوفيتى بحركة مفاجئة ، غير مفهومة . وشعر الكثيرون وقتها ان مصر اصبحت معرضة للسقوط فى يد الاعداء اكثر من اى وقت مضى .

واليوم .. ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .. يقال للمصريين ان العبور قد تحقق خلال ٤ ساعات .

هل يعقل هذا ؟ ..

وماذا جرى لجيش اسرائيل الذى لا يقهر ؟ ..

لقد قال جنرال ديان فى احدى المرات : لو فكرت مصر فى القنال .. فان الحرب ستكون لها بمثابة الانتحار !! ..

وقال جنرال عزرا وايزمان ، اذا فكر السادات فى الهجوم على قواتنا .. فاننا سنجلد المصريين ونسلخهم داخل بيوتهم !!

وتصور بعض المحللين . ان ما حدث يوم ٦ اكتوبر ، هو مجرد عملية عبور وقتال . وان قرارا من مجلس الامن سيصدر فورا بوقف القتال ، ثم تتدخل امريكا لتسوية الامور ..

ولكن هذا التصور كان اشبه بالوهم .. استمر القتال ، ولم يتوقف .. واستمر المصريون فى التقدم ، ولم يتوقفوا .

وكانت هذه ـ اول مرة ـ يختار فيها العرب زمان المعركة ، ومكانها .. واول مرة يبدأون فيها القتال والهجوم على مواقع اسرائيل .

.. عندما اغلق عبد الناصر مضيق تيران عام ١٩٦٧ .. اعطى بتصرفه هذا قادة اسرائيل ، الفرصة التى كانوا ينتظرونها ،

ويترقبونها ..

وقتها .. انطلقت اذاعة صوت العرب .. ومعها على الاقل نصف دستة من الاذاعات العربية ، تهدد وتحذر من المصير الاسود الذى ينتظر اسرائيل ..

وسكتت اسرائيل ، ولم ترد على هذه الحملات الدعائية .

ووقتها ايضا .. اعلنت بمصر الجيوش العربية استعدادها لخوض المعركة .. واقتلاع أداة الامبريالية التى زرعها الاستعمار فى الارض العربية ..

وعلى عكس ما ردده بعض القادة العرب .. اخفت اسرائيل مشاعرها واحاطت خططها بستار من الصمت والهدوء .

وفى ٥ يونيو .. هجمت اسرائيل على العرب واكتسحتهم ، ولقنتهم درسا قاسيا مريرا ، بعد ان حطمت جيوشهم ، واستولت على اسلحتهم

فى اكتوبر ١٩٧٣ .. اختلفت الصورة تماما ، وانقلبت الاية .

التزم المصريون الصمت .ونجحوا فى تنفيذ ابرع عمليات التمويه والخداع ، التى اخذت القيادة الاسرائيلية على غرة ، ولقنتها درسا قاسيا .

فى اعقاب حرب ٦٧ .. قال جنرالات اسرائيل ، وصدقهم الناس ، ان السادات لن يجرؤ على الهجوم . وكان هذا قولا مقبولا بعد الهزيمة . التى جعلت العرب يفقدون الثقة فى انفسهم وجعلت الاسرائيليين يتمادون فى غرورهم ، وفى الاحساس بالثقة المفرطة ..

وسكت المصريون ، ولم يردوا على هذه الادعاءات .

وفى اعقاب ٦٧ .. هلهل الاعلام الاسرائيلى صورة الجندى المصرى المقاتل . وصفوه بالجبن ، والتقطوا له صورا وهو حافى القدمين ، وادعوا أنه خلع حذاءه ليتمكن الفرار والهرب ! ..

وصدق جنود اسرائيل هذه الادعاءات ، وعاشوا تحت هذا الوهم ..

ولكنهم فوجئوا بالجنود المصريين فى ٦ اكتوبر يقاتلونهم بشجاعة وضراوة .. لم يتصوروها على الاطلاق .. ووصف بعضهم معاركه

٦ اكتوبر قائلين : لقد حطمنا لهم كتيبة من الدبابات . وكنا فى وضع افضل من وضعهم .. ورغم ذلك ظلوا يهاجموننا بضراوة .. لم يهربوا كما تصورنا .. انما قاتلوا .. وتقدموا ، وراحوا يجمعون جرحاهم غير مبالين بوابل النيران التى كانت تتساقط فوق رؤوسهم .. ان كل ما قالوه لنا عن الجنود المصريين ، كان كذبا وخداعا ..

.. فى عام ١٩٦٧ .. كانت البيانات العسكرية العربية ،عبارة عن سلسلة من الاكاذيب والافتراءات .. وكانت بيانات اسرائيل تتسم بالحقيقة والواقع ..

وقتها راح العالم يستمع الى بيانات اسرائيل .. وادار اذنيه بعيدا عن البيانات التى تصدر من القيادات العربية .

فى ١٩٧٣ .. انقلبت الاية ... وتغيرت الصورة ـ كانت البيانات الاسرائيلية تفتقر الى الدقة ،وكان الكثير منها زائفا .. بينما اتسمت البيانات المصرية بالصدق والواقع ..

وفى ١٩٧٣ .. كانت الاذاعة الاسرائيلية ـ لا الاذاعات العربية ـ هى التى تهلوس ، وتهدد ،وتتوعد قائلة : سوف تحول نهاركم الى ليل مظلم .. سنجعلكم ترون النجوم فى عز الظهر .. سنرغمكم على وضع انوفكم ووجوهكم فى الطين .. سنحطم عظامكم ! ..

وعندما أعلن جنرال جونن قائد منطقة سيناء .. فى اليوم التالى

بدء المعركة .. ان المصريين يحاولون جالسين الوصول الى الضفة الشرقية للقناة .. اذاع التليفزيون المصرى فيلما يصور جنود مصر ، وهم يسيطرون على شرق القناة .. ويرفعون علم مصر فوق المواقع المحررة .. !

ولاول مرة .. رأى المصريون ، وهم جالسون فى بيوتهم ، افلاما تصور الاسرى الاسرائيلين جالسين على الارض ، ملابسهم ممزقة ، ايديهم فوق رؤوسهم ..

وشاهدوا ايضا عساف ياجورى قائد الدبابات الاسرائيلية ، وقد وقع اسيرا فى ايدى قواتهم .. وشاهدوا الجرحى الاسرائيليين ، وهم يعالجون فى المستشفيات المصرية .. وسمعوا الاسرى الاسرائيليين وهم يعترفون بان قادتهم ارسلوهم الى حرب غير عادلة ..

بعد هزيمة ١٩٦٧ .. انتحر المشير عبد الحكيم عامر قائد عام القوات المصرية ، وتم اعتقال معظم اعوانه ، وتم تقديمهم الى المحاكمة.

بعد ٧٣ .. انتقل صراع الجنرالات الى اسرائيل .. وسمع العالم لاول مرة عن صراع القادة والجنرالات الاسرائيليين ، وعن خلافاتهم ، وعن معاركهم .

وقد لخص صحفى اسرائيلى الموقف بدقة فى سطور قليلة قال فيها .. لقد تعلم العرب منا ، كيف يقاتلون .. وتعلمنا نحن من العرب ، كيف نكذب !! ..

●●●

كانت هذه سطور .. وفقرات من كتاب (سادات) .. الذى الفه الصحفى البريطانى دافيد هيرست .. وهو صحفى لم يكن صديقا للسادات ، او متعاطفا معه .. انما كان يعاديه دائما فى كل ما كتب .. ورغم ذلك فان النصر الذى حققه جيش مصر فى اكتوبر ١٩٧٣ .. هو نصر كبير .. يعترف به الخصوم ، بقدر ما يعترف به الاصدقاء ..

سعيد سنبل